بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

صراع أزلي

كان ولا يزال قائماً بين من يحملون رسالة السماء والمثل العليا ويعملون لها لتحقيق إنسانية الإنسان وسعادته في الدارين ، ليعم السلام ، وتتحقق العدالة وخلافة الله في الأرض ، يدفعهم طموح لا حدود له .

وبين المتخاذلين الذين يحملون أفكاراً شيطانية معاندة للحق ، ومملوءة بالكبر ، يعملون جاهدين لطمس المثل وتغييبها عن الواقع في حياة الإنسان ، تؤزهم شهوات وغرائز فيندفعوا كلما وسوس لهم بفكرة ، أو زين لهم بدعة دفعوها باتجاه خصومهم ليطفئوا بها نوراً ، وليدحضوا بها حقاً ، فالعلاقة قائمة بين المثل والطموح .

فكلما وضحت المثل أمام الإنسان ازداد طموحه لتحقيقها ، وبالعكس كلما غابت هذه المثل عن ناظريها تدنت الطموحات .

ـ فالذي يحمل المثل له طموحات إنسانية يعمل لها ويلتقي مع نظيره فيحملها ، لذا تتحد الجهود للجميع وتتماسك لاتحاد الهدف ؛ ولو تفرق الناس جغرافياً ، ويزاد العمل قيمة إذا انتظم في مؤسسة إسلامية يكون من ثمراته تحقيق سعادة الفرد والمجموع ، والتمتع بروح الجماعة والشعور برضا الله عز وجل ؛ ومن الطرف الآخر تتدنىٰ الطموحات حتىٰ لا تتعدىٰ

حدود المتع الآنية الرخيصة المادية والمعنوية ، كالعلو في الأرض والتسلط ، واقتناص اللذة ، وإذا انتظمت هذه في مؤسسات استشرىٰ خطرها فأخذت صور متناحرة فيما بينها أحياناً ومتحالفة لاقتسام سرقاتها لما تنتهبه من الشعوب أحياناً أخرىٰ .

فهي ذات مظهر براق ، وشعارات جوفاء يزينها الشيطان ، فإذا اختلفت واقتتلت خلفت الدمار والكوارث مثال الحربين الكونيتين الأولىٰ والثانية ومآسيها ، وإذا تحالفت واتحدت فلاقتسام الغنيمة ولتتدخل في شؤون البلاد الضعيفة بأسماء وشعارات.. استعمار ، انتداب ، حماية مصالح أو حماية حرية التجارة ، أو الملاحة والمرور ، أو لتثبيت ما تدعيه من ديموقراطية زائفة . وفي زحمة صور هذه المؤسسات وشعاراتها وتحالفاتها تختلط الأوراق والقواسم المشتركة التي تجمعها حسب النظم اقتصادية ، أو حسب التجمع الإقليمي ، أو حسب التقدم العلمي ، أو حسب الغنىٰ والفقر ، وأخيراً وليس آخراً نسمع ونشاهد ممارسات النظام العالمي الجديد وماأفرزه من انفراد القطب الواحد .

ـ لذا كان لا بد من التحرك لإظهار فساد هذه الصور والعقائد لهذه المؤسسات المادية المنحلة المتحضرة .

بعرض بعض الصور للمؤسسة الإسلامية ؛ حتىٰ لا تغيب صور المثل العليا عن طالبيها ، وحتىٰ لا يتفرَّد المثل السيىء بالساحة ، وتتحقق الآية الكريمة علىٰ الواقع ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

والله الموفق .

* * *

التمهيد

الضياع

الأمة التي أكرمها الله بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس فقال تعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وميزها بخواص منها :

١ـ الوحدة ، فقال : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

٢ـ الوسطية ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وجعلها شهيدة علىٰ الناس ، ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فكان هذا دورها بين الأمم ، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو أو تطرف .

هذه الأمة تعيش الآن عالة علىٰ الأمم : تاهت في أسواق المادة التي طغت علىٰ كل حياتها ، فالعقول تجمدت والطاقات تعطلت (جزئياً أو كلياً) فلم يعد لها منهج خاص للعلوم أو الاقتصاد أو العلاقات الاجتماعية يميزها عن غيرها من الأمم ، تراكمت لديها الأخطاء ، فلم تعد تستفيد من أية تجربة ، فلا تقرأ ، وإذا قرأت لا تحسن الفهم ، وإذا فهمت فلا تعمل بما تحسنه ، وإن عملت فليس لها القدرة علىٰ الاستمرار ، صار الكسل عندها أحلىٰ من العسل ، تجمدت أمام الركب فادعت التدين بأفكار البدع والضلالات ، وأسرفت في الاستهلاك ، وتخلت عن الإنتاج والعمل ، انقسمت طاغوتياً شعوباً وطوائف ونظم اقتصادية وأقاليم جغرافية وملل تحمل أفكاراً لا يميزها إلا التعصب المقيت ، تنبري للحكم علىٰ الاخرين

وتبرىء نفسها من كل عيب تدعيه لغيرها ، تقبل مهرولة علىٰ كل ناعق دون أن تنظر لما يخفيه من حقد عليها أو لسابقته في خداعها وكونه عدواً لها يجرعها السم ، ويغريها بتركها أسلحتها ومواقعها وتعريتها لتكون من الهالكين .

لا تفعل النصر وكثيراً ما ادعته ليزداد غرورها ، بعيدة عن حسابات العلم ، لا تفهم من الديموقراطية التي تلهث وراءها إلا ما يمزق وحدتها ويفسد أُلفتها وتحابيها ويجعلها من أتباع مذاهب ودول خرقاء .

لا تطلب الدواء ولا تثق بالحكيم وتجادل بالباطل لتدحض به الحق ، أما سفينة النجاة التي حملت الأجداد ومخرت بهم عباب الظلمات متحدية حضارة الفرس والرومان ، وحقق بها الأولون الأمن والسلام للجميع فأغنوا وغنوا . هذه السفينة ترسو علىٰ شواطئهم تدعوهم أن هلموا إليَّ أوصلكم إلىٰ ما أوصلتهم ، وتراهم يتجهون إليها بالريبة وهمهم العمل بها نقباً وتخريباً وودوا لو يغرقونها إرضاءً لمن يخفون وراء ابتساماتهم السُمَّ الزعاف ، وقد أعيتهم الحيل إذ لا جدوىٰ من التوجه إليها ولا أمل بالوصول ولا قدرة علىٰ التحرك .

فمتىٰ تستفيق هذه الأمة ويعود العلم سلاحها ، ورائدها أجدادها وما أفادوا وما استفادوا . . ؟

الأسباب :

إن جهل المسلمين بالإسلام أولاً جعلهم أعداء له ، ومن جهة أخرىٰ فعداء الغرب للكنيسة التي كانت سبب تأخرهم في فترة من الزمن جعل صورة الدولة القائمة علىٰ الإيمان بالله معكوسة ، وهذا ليس خطأ الدين ؛ ولكن خطأ الذين يحملونه قشوراً وطقوساً وبدعاً ولا يستطيعون أن يُعَرِّفوا

به فهم ورثوه تركة آبائهم ليس إلا ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] فالأصل في الإنسان الاستعداد للخير والطاعة والصلاح وشكر النعمة ولذلك استخلفه الله في الأرض وابتلاه بالنعم ليعلو بها في معارج الكمال إن صبر وشكر ، أو ينحط بها لأسفل سافلين إن كفر واستكبر ، وتحصل الحياة النافعة للإنسان بالاستجابة لما دعاه ربه إليه في تحكيم شرعه واتباع هدي نبيه محمد عليه السلام : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] هذه الحياة التي تذخر بالسعادة في الدنيا والآخرة ، وليست الحياة البهيمية التي تتمتع بها جميع الكائنات الحية علىٰ حد سواء .

وعد بالإكرام ودعوة عامة لدار السلام :

وعد الله الذين أقاموا شرعه واحتكموا له أن يمكن لهم في الأرض ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى ﴾ [النور : ٥٥] فالوعد بالتمكين مربوط بالعبادة له وحده والعمل الصالح لإفادة البشرية بما يرضيه تعالىٰ : فالله يدعو لدار السلام .

دعوة لدار السلام :

« الله السيد ومحمد الداعي والدار الإسلام »[1]

إن من تأهل في هذه الدنيا فعاش متمتعاً بسلام الأمن والإيمان مع باقي إخوانه في الإنسانية في حب ووئام وتعاون بلا حقد ولا حسد ولا ضغينة ولا استغلال ولا استعمار أو تسلط ، ليس لعربي فضل علىٰ أعجمي ،

---

(١) « مشكاة المصابيح » ١٦١ .

ولا أمة علىٰ غيرها ، ولا لفرد علىٰ آخر إلا بما يقدم من عمل يرضي به ربه ويسعد به الآخرين فقد تأهل ليدخل دار السلام .

إنها دعوة لوحدة أساسها كتاب الله وسنة رسوله والتمسك بحبل الله ، وترك ما سواه ، للتحرر من قيود الجاهلية التي هي أصعب من رق العبودية كما قال بلال وصهيب بعد إسلامهما ، إذ لم يعد يهمهما التحرر منها لأنها لم تعد ذات شأن ، فكثير من الصحابة أسلم ولم يكن قد نزل من القرآن إلا بضع آيات ، ولكن بعد أن دخلوا في الإسلام وتحرروا من قيود الجاهلية ، عمل القرآن في بناء نفوسهم من جديد . . . ـ ويشاد البناء ويعلو ليستوعب الحياة والمجتمع ـ فلا علو في الأرض كما هو حال دولةِ القطبِ الواحد ولا فساداً في العلاقات العامة الدولية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، ولا مؤامرات تحاك حول الضعفاء باسم حقوق الإنسان ولا باسم نشر الديموقراطية ، ولا تدمير لاقتصاد الأمم أو إفساد أخلاقها أو ثقافاتها وتاريخها بغزو إعلامي ونشر زيف الأباطيل ، ولا قطع للروابط الأسرية ومحاربة القيم الخلقية باسم مؤتمرات السكان وتنظيم الأسرة ، ولا القضاء علىٰ اللغة التي تحمل تاريخ ومقدسات الأمة وذوقها باسم التبديل للأسهل (إلغاء القواعد والنحو والعودة للعامية) ، ولا إفساد للعلوم والأخلاق بربطها بالإباحية باسم الفن . . إلخ .

إن الإسلام هو الطريق إلىٰ الخلاص من هذا الارتكاس الذي أفرزته الحضارة المادية ، من تفلت في القيم إلىٰ الاستقلال الفكري قولاً وعملاً .

* * *